لقاء قناة الحرة بالدكتور إبراهيم الجعفري
2008/3/26
(العراق والبداية الجديدة .. مرور خمسة أعوام على سقوط صدام)

المقدم: مرت خمسة أعوام على سقوط النظام السابق (النظام الصدامي) .. ونريد أن نعيد بعض ملامح اليوم الأول، وبصحبتنا الدكتور إبراهيم الجعفري رئيس الوزراء السابق.
ماذا كنت تتوقع، أو ماذا كنت تريد أن تشاهد وأنت قادم إلى بغداد، وما هو المكان، من هو الشخص، وماذا رأيت؟

الجعفري: العودة إلى العراق هي عودة إلى المنشأ من حيث التكوين؛ لأني عراقي بالولادة، وعراقي من حيث تكويني وأسرتي، وعراقي في المنشأ الثقافي، والنفسي، والاجتماعي، والسياسي، وترعرعت في العراق، وتشبعت بالحالة العراقية بما ينسجم مع مبادئي وقيمي؛ لذلك كنت أتطلع لأن أعود إلى العراق في أول فرصة، وفعلاً صممت على ذلك، وطارت بي الذكريات وأنا أكثر من سعيد ببغداد، وعندما جئت كنت أحب أن أرى بغداد باعتبارها عاصمة العراق، وكنت أتمنى أن أراها سالمة، وضاحكة، ولكني وجدت الخراب؛ ففكرت بإعادة الابتسامة إليها، وإعمارها، وإعمار البلد كله.

المقدم: هل هي بغداد التي أغمضت عينك على آخر لقطات فيها.. هل هي نفسها بغداد بعد أن دخلتها؟

الجعفري: تختلف تماماً فآثار القصف في كل مكان إثر اقتفاء النظام الصدامي، لكني كنت أستحضر إصراري على أن نظام صدام ساقط لا محالة وهذا انتصار معنوي وسياسي كبير جداً، ومن جانب آخر ما كنت أتمنى أن يسقط العراق بهذه الطريقة، أو يسقط النظام الصدامي بهذه الطريقة؛ لأن السقوط الفعلي جرى على يد الشعب .. وفي حقيقة الأمر لو إن الشعب العراقي التفّ حول أي قائد وطني لم تستطع أي قوة في العالم أن تسقطه، وقد قلت هذا في 2003/5/17 في أول لقاء بيني وبين بريمر في القصر الجمهوري عندما كنا مجموعة من القادة السياسيين في المجلس، وتحدث الجميع وكانت كلمتي بأن الذي أسقط صدام هو الشعب العراقي فقد أسقطه سياسياً ونفسياً، وقلت لهم: إن هوية المنتصر على صدام هم الذين دُفِنوا أحياءً في المقابر الجماعية.

المقدم: قبل أن أدخل في الجانب السياسي، وأعرج على مرحلة بريمر أريد أن ابقى في هذه الصور.. هل أنت معترض على طريقة الدخول إلى العراق، وهدم كثير من المباني؟

الجعفري: بالتأكيد أنا لم أكن أؤمن بأن الحرب هي الوسيلة التي يتغير فيها النظام لأن الحرب لا تميز بين رأس السلطة وأزلام السلطة وبين غيرهم .. أنا أعتبر أن الشعب العراقي هو آلية التغيير الحقيقية، وقد برهن بما لا يدع للشك مجالاً أنه مُصِر على التغيير، ولو إن دول العالم وقفت إلى جانبه، وأنصفته لسقط صدام لو كان الحصار الاقتصادي قد استبدل بحصار سياسي على رأس النظام، ومُورست بعض الخطوات الأخرى لكان سقط، ولكن الذي حصل هو أن يتعرض العراق لتلك الضربة وقبلها الحصار الاقتصادي وهذا أثّر بدرجة كبيرة على البنية المجتمعية، وجرت إلى الجانب الاقتصادي والجانب النفسي والمجتمعي الويلات؛ لذا لم أكن مع هذا، لكن بعد أن أصبحت الحرب في 2003، وأصبح الاحتلال واقعاً على الأرض تعاملت بمنطق واقعي للإسهام في تغيير بوصلة الموجود على الأرض لصالح الوطن العراقي، ومن هنا بدأت.

المقدم: هل خالجك شعور بأن نفسية العراقي قد تغيرت، ومنظومته القيمية قد تبدلت بعد دخولك، ومشاهدة عمليات تفريغ المؤسسات؟

الجعفري: لا أكتمك سراً أن المظاهر التي كانت تطفح على الشارع تشكل مظاهر مؤسفة فالشعب العراقي ليس شعب سُرّاق، لكن أن تكون هناك قلة تمارس السرقة بنسبة ضئيلة معينة هذا لا يعني أنها تترجم إرادة الشعب العراقي إلى إرادة وطنية، كما أن الظواهر الشاذة التي طفحت في ما بعد تبقى أقلية، وصوت الصخب والسوء دائماً يطغى.

المقدم: ما الذي دار في ذهنك وأنت تشاهد هذه المؤسسات، ماذا فكرت، كيف ستعيد هذا التوازن النفسي للموطن العراقي، وتعيد له قيمه.. هل فكرت بهذا الموضوع؟

الجعفري: ذهني مملوء ومحشو بالأفكار بأن أضع برنامجاً تلو الآخر لإعادة بناء العراق ليس فقط من الناحية الاقتصادية والعمرانية والنفسية والاجتماعية بل من كل النواحي.. أفكر كيف يبدأ عدّاد النمو في العراق وكلي ثقة أن الشعب سينجب أبطالاً، وينجب أفذاذاً، ويخطو خطوات على طريق البناء وهذا الشعور يملأني.

المقدم: مَن من الشخصيات السياسية التي دخلت إلى العراق كان قريباً لك، وكنت تحاوره بهذه المشاعر؟

الجعفري: أغلب الشخصيات العراقية دخلت بشكل متقارب، طبعاً الأخ مسعود وقتها مقره في كردستان، وحصلت مهاتفة بيني وبينه، ونسقت دخولي معه في الشهر الرابع 2003، ودخلت ضيفاً عليهم في أربيل، ثم جئت إلى بغداد، والتقيت بشخصيات مختلفة، منها: عدنان الباجةجي، وأحمد الجلبي، وإياد علاوي.

المقدم: هل التقت كل هذه الشخصيات في كردستان؟

الجعفري: لا.. اللقاءات حدثت في بغداد، وبعدها كانوا يأتون من الخارج خلال الأيام الأولى، وكنا نلتقي، وكان هناك مجموعة تسمى (المجموعة السباعية) كنت أحدهم، وقد أوشكت مرحلة طيّ المرحلة التي كان فيها كارنر على الانتهاء، وبدأت المرحلة التي بدأ فيها بريمر وأيضاً بالنسبة لي بدأت رحلتي ببساطة في بيت أحد إخواني وهو الأخ (أبو حوراء)، وكانت هذه نقطة البداية؛ لأنه لا يوجد مقر، ولا يوجد شيء في ذلك الوقت فاستفدنا من بيته الخاص، ولم يكن فيه أثاث.

المقدم: هل شعرت بأن الوضع النفسي لهذه القوى السياسية التي كانت في المعارضة قد تغير عمّا في الداخل، وهل كنت تفكر ألا تعود نهائياً إلى الغربة؟

الجعفري: حصل تغيير، وإن لم يكن بالمستوى المطلوب فقد بدأ الطيف السياسي العراقي يفكر في التصدي للحكم والتعامل مع الحالة التي انتهى فيها العدو المشترك، وبدأ الطيف السياسي يفكر بكيفية التعامل مع قوات الاحتلال، وكيفية إدارة عجلة العملية السياسية، والإطار السياسي المعقول.

أما العودة إلى العراق فبكل تأكيد أنا أعتبرها عودة إلى المنشأ والأصل، ولم آتِ لسفرة ثم أرجع.. جئت إلى العراق مصمّماً تصميماً نهائياً على البقاء؛ حتى أني كتبت أول رسالة إلى العائلة تحت عنوان (إلى البعد)، ولم أكتبها بعنوان (من البعد).

المقدم: هل تتفق مع من يسمي القوات الأميركية قوات تحرير العراق؟

الجعفري: الاحتلال والتحرير نمطيتا عمل وليسا لفظين، وحين نقول: إن هذه قوات احتلال يعني ذلك أن نمطيتها وسياقاتها في العمل ذات طابع احتلالي، وحين نقول إنها قوات تحرير أو قوات متعددة الجنسيات لابد أن تكون نمطياتها نمطيات قوات متعددة الجنسيات مع لحاظ وجود نظام وطني يعمل.

أعتقد أن الحالة الحالية لا يمكن تسميتها احتلالاً، ولكن توجد خروقات وممارسات أقرب إلى الطبع الاحتلالي منه إلى متعدد الجنسيات؛ لذا يجب أن ندفع بالعملية الأمنية إلى مستوى تكون المركزية للقوات العراقية، وتمارس القوات متعددة الجنسيات دور الإسناد والدعم على الأرض.

المقدم: نعود إلى مجلس الحكم.. كيف تشكلت الفكرة، ومن أين جاءت؟

الجعفري: طلب مني بريمر بعدما التقينا سوية مع كارنر في 2003/5/17 أن يلتقيني في كربلاء، وكانت لديّ سفرة، وقال: أنا آتيك إلى كربلاء، والتقينا في مركز

المحافظة وسألني: ما الحل؟ قلت له: مؤتمر لألف وطني عراقي، فقال: وبعد: قلت له: نتفق على آلية تتولى شأن الحكومة لانتخابات صريحة بعدما تطرح فيها البرامج، وتتكون من خمسة وعشرين إلى خمسة وثلاثين، قال ما رأيك إذا شكلت الآن فريقاً من خمسة وعشرين شخصية عراقية من مختلف الاتجاهات، ونعتبرها إدارة محلية للحكم، قلت له في المرة الثانية، إذا طرح لي إدارة محلية سأقطع هذا الحديث، فأنا لا أؤمن بإدارة محلية، ولا أؤمن بسلطة محلية.. أنا أؤمن بحكومة عراقية تعمل، وتنشئ دستوراً، وتشكل وزارة.. وبالفعل بعد فترة وجّه لي رسالة خطية بمسألة اللقاء والحوار حول مسألة تشكيل حكومة عراقية تتصدى لمهمتين الدستور، وتبدأ من الآن تناقش في قضية رسم خارطة الدستور، وفي الوقت نفسه تشكل وزارة.. وللأمانة أقول: لقد لعب السيد (سرجيو دميلو)، دوراً رائعاً في دفع هذا الأمر، وإخراجها إلى حيز التطبيق.

المقدم: فكرة مجلس الحكم هل أنت أشرت إليها، أم هي من أفكار السيد بريمر؟

الجعفري: أنا أشّرت طبيعة الهيكل السياسي المتصدي بما أتصوره، ولم أستجب لشيء اسمه إدارة مجلس محلية.

المقدم: واستجابة الآخرين.

الجعفري: لم أكن مطلعاً عليها بالتفصيل، ولكن لديّ رسالة مدونة تقول: نشكل شيئاً ليس بالضرورة اسمه (مجلس حكم) لكن لنجلس، ونتحاور على هذه الآلية التي تتولى تشكيل حكومة، وكتابة الدستور.

المقدم: واختيار هذه الشخصيات الخمسة والعشرين؟

الجعفري: جرى حوار ملتزم بالكامل مع زملائي السياسيين الآخرين كما جرى معي وكنت حريصاً على استيعاب كل المكونات بما فيها التيار الصدري والإخوة السنة العرب كحالتين اجتماعيتين في الواقع العراقي، ولم يكن في ذلك الوقت شيء اسمه مقاومة، ولا تنظيم القاعدة في العراق بهذا الشكل الفاقع، ولم يكن هنالك جيش المهدي، ولم يكن هناك حزب الفضيلة؛ لذا أرسلت مندوبين عني إلى النجف الأشرف ليلتقيا بالسيد مقتدى الصدر والشيخ محمد اليعقوبي، ولم يكن هناك آليات وهياكل تنظيمية على شكل حزب الفضيلة أو على شكل جيش المهدي، ورشحت أحد الشخصيات، وعندما ذهب إلى النجف وحمل مني رسالة شفوية وجاء بجواب إيجابي على موافقة الرجلين، وللأسف الشديد تفاجأت في آخر الأمر بعدم الانضمام إلى قائمة الخمسة والعشرين، ولا أعرف السبب، و الشيء نفسه بالنسبة لبعض الشخصيات السُنية العربية؛ وهذا الأمر أسهم في توتير الساحة وعزل بعض القوى.

المقدم: هل أنت نادم على قرار اتخذته بحيث لو عدتَ إلى فترة المعارضة ستفكر بطريقة أخرى لإعادة الحياة، والإعمار، والتوازن السياسي إلى العراق؟

الجعفري: لا يتغير شيء بالنسبة لي كثابت فكري ومبدئي وقيمي، إنما المتغير متغير موضوعي.. الواقعية لا تعني التنازل عن المبدأ كما لاتعني تجاوز الأمور الواقعية؛ لأن الإنسان ابن الواقع..

لم نكن نتوقع أن دولاً كبرى ستتولى عملية إسقاط صدام، ولا أحد يتصور أن العراق سيمر بحالة احتلال؛ فالواقع فرض علينا أن نتعامل مع ما موجود على الأرض، أما مجلس الحكم فهو وإن كان أطروحة لشرعنة الاحتلال فقد عملتُ أنا وزملائي سوية على تغيير بعض قرارات مجلس الأمن، وفعلاً تبدلت للصالح العراقي، وبدأت تتحرك باتجاه السيادة العراقية..

نعم.. كنت أدرك أن الحالة الوطنية في حالة تغالب وصراع مع أطروحة الاحتلال والحاكم المدني المعترف به دولياً، وعملت على إعطاء نمطية ونسق وطني ينعكس على قرارات الأمم المتحدة وقد أثارت الحاكم المدني في وقتها لاسيما زياراتي التي قمت بها إبّان كنت رئيساً لمجلس الحكم لسبع دول في سبعة أيام، ووصلت إلى جامعة الدول العربية، وأشعرت القادة العرب في تلك الأيام بهوية الحالة الوطنية الجديدة لنزع فتيل المشاكل ورفع المخاوف، وعملت على خطوة أخرى وهي دفع لجنة دستورية بمعادلة كل عضو في مجلس حكم بمرشح لعضوية اللجنة الدستورية، ومن خلالها وضعنا العراق على عتبة الدستور تخطيطاً، ثم تنفيذاً.